قبر ابن الجوزي

وقصور الخليفة

Ibn Jauzy et les Palais des Abbassides.

من المولعين بالتحقيق عن آثار بغداد والمشغوفين بتاريخها الفاضل عبدالحميد عبادة وقد نشر عنها المقالات المفيدة في هذه المجلة الزاهرة . من ذلك مقالته الواردة في الجزء ٣ ص ٢١٧ من هذه السنة وهي عن دار ابن الجوزي وقبره . وقد ابان فيها غلط من يقول ان المرقد الذي في حديقة اكريبوز هو لابن الجوزي المتوفى في سنة ٥٩٧ه (١٢٠٠م) وأحال الكاتب القراء على الصفحة التي رجحت فيها ان هذا القبر هو لابن الجوزي الذي اشير اليه .

واني لاشكر عبادة على نقده الرشيد وعلى ملاحظته اياي . وكان سبب غلطي اني اعتمدت على « سالنامة » بغداد وعلى ما رأيته في اول مخطوط قديم ذكرته هناك . وكان الواجب علي ان ارجع الى ابن خلكان . وليس بين المترجم والمترجم إلّا قرن واحد فضلا عن ابن خلكان من الثقات المعاومين .

اما ماقاله عبادة ان القبر لا بد ان يكون لمحيي الدين بن الجوزي او لابنه جمال الدين عبدالرحمن او لاخيه شرف الدين عبدالله أو لاخيه الاخر تاج الدين عبدالكريم وما رجحه ان القبر لمحيي الدين منهم لابوته ولتفوقه على اولاده في العلم والرتبة ففي ذلك نظر . فان قتل هؤلاء الاربعة (١) — على ما قاله كتاب الحوادث وعلى ما نقله عبادة من مختصر تاريخ الحنابلة — كان في دخول هولاكو بغداد . وكانت الدماء تجري فيها والناس في ويل وثبور (٢) أفلم يكن عندهم ما يمنعهم من الوقوف على مدفن فلان ومدفن فلان ؟ ويجوز انهم وقفوا على دفن هذا القبر . اما سبب الترجيح الذي اورده عبادة فلا يمكن ان يكون

(١) كان دخوله بغداد في المحرم ورأينا في هذه المجلة (٥ : ٤٠٥ ع) نقلا عن جامع التواريخ لرشيد الدين ان شرف الدين شخص الى شوشتان في صفر من تلك السنة فلم يكن قد قتل في دخول هولاكو بغداد . فأي الروايتين هي الصحيحة؟

(٢) راجع مثلا مجلة المرشد ٤ : ٢٨ التي نشرت تعريب رسالة لنصير الدين الطوسي .

حجة في ما ذهب اليه اذ كم من القبور للمشاهير من العلماء وغيرهم درست وبقيت قبور غيرهم من الذين هم اقل شهرة ومقاما ! هذا ويجوز ان يكون المرقد لاحد الجوزيين غير الذين ذكرهم كابي الحسن علي والد المتوفى في سنة ٥٩٧ . وفي ترجمة الابن في ابن خلكان ان وفاة الوالد كانت في سنة ٥١٤ (١١٢٠) .

قصور الخليفة

واذا انتقلنا الى قول عبادة القائل : « ولم تبق ريبة في ان القصور التي تملكها الخضيريون (١) وما يليها (٢) هي قصور الخليفة كما اشار ابن جبير لقربها من باب البصلية (الباب الشرقي) وخربة ابن الجوزي » وجدنا ان السند الذي تمسك به الكاتب لا يحمله على هذا القول الحاسم . وهذا ما نقله عن مستند ابن جبير الذي قال :

« ثم شاهدنا . . . مجلس الشيخ . . . جمال الدين ابي الفضائل بن علي الجوزي بازاء داره على الشط بالجانب الشرقي و [الدار] بيع آخره [يعني بيع اخر الجانب الشرقي] على اتصال من قصور الخليفة و [هي اعني الدار] بمقربة من باب البصلية اخر ابواب الجانب الشرقي . (٣) » اه .

(١) كنت كتبتها ايضا بالضاد اما اهل هذا البيت فانهم يكتبون اسمهم بالظاء للمشاكلة والحق ان نجاريهم . (الكاتب) (لغة العرب)هذا من شنيع الغلط وفاضحه لان الظاء لا تجاور الخاء وكذلك العكس . ولو تدبرت الفاظ لغتنا من اولها الى آخرها لما وجدت كلمة واحدة يرى فيها هذا الجوار . ولهذا يحسن بالخضيريين العرب الافصاح ان يرجعوا الى الصواب ولا يبخسوا حق لغتنا وقواعدها .

(٢) ما يليها من جهة الشمال اذ ان المدينة تنتهي بقصور « الخظيريين » وما المسافة التي تحتها الا نحو مئة متر فيها ما كنا نسميه « القوله » (بضم القاف غلطا في القلة) وهو برج مدور متقدم في دجلة من بروج سور المدينة وكان قائما في عهدنا . وكان موضع قصور الخظيريين حتى قبل خمسة وعشرين عاما او اقل مدابغ للجلود ذات روائح كريهة يحدها السور من جهة دجلة فاشترى « الخظيريون» الارض وبنوا عليها قصورهم وشيدوا لها المستبنيات خارج السور . وكان الطريق الذي عليه قصور «الخظيريين » يسمى« عقد الخناق » (بفتح الخاء وتشديد النون) وكان ضيقا متعرجا لا يطرق لانزوائه في ناحية لا حاجة للناس اليها فكان الطريق وما في انحائه مأوى لاهل الدعارة والتلصص وامثالهم وذلك قبل بناء «الخظيريين » قصورهم وقد دخل الطريق في الشارع العام .

(٣) وضعت النقط للاختصار ما بين المعقوفات للايضاح .

واذ رأينا ان دار ابن الجوزي هي في آخر الجانب الشرقي وبمقربة من باب البصلية وان هذه الدار على اتصال من قصور الخليفة فلا وجه لقبول عبارة ان قصور الخليفة كانت في موضع قصور الخطيريين وما يليها اذ يحتمل ان تكون قصور الخليفة فوق دار ابن الجوزي او تحتها . والعل الارجح ان تكون تلك القصور فوق الدار اذ ان المقربة من باب البصلية قد نسبت الى الدار وليس الى القصور .

ومن يراجع مقالتي المعنونة « حريم دار الخلافة » (هذه المجلة ٥ : ٤٤٩) يقل ان الجبهة المطلة على دجلة لحريم دار الخلافة كانت بين شريعة المربعة او نحوها وبين شريعة المصبغة التي كانت تسمى باب القربة ومما يؤيد ذلك قول ياقوت عن القربة (وهي اليوم محلة رأس القربة على الغالب كما سيبين) انها محلة في حريم دار الخلافة بل قال في مادة باقداري انها بدار الخلافة وفضلا عن ذلك فقد قال ابن الساعي في كتابه مختصر اخبار الخلفاء (١) ص ٩١ و ١١٢ ان السيد سلطان علي هو دفين رأس القربة ببغداد . واذ كان جامع السيد السلطان علي — ومرقده فيه — بمحلة طرقها يقربيمن طرف ما نسميه اليوم بمحلة رأس القربة (٢) (وان تفصل المحلتين احداهما عن ثانيتهما محلة اخرى) وكانت

(١) كانت وفاة المؤلف في سنة ٦٧٤ هـ (١٢٧٥ م) والكتاب مطبوع بمصر سنة ١٣٠٩ وفيه : « وبقيت قاعدة بني رفاعة في البصرة الى زمن ولد يحيى اعني السيد عليا ابا الحسن الملقب بالسكي دفين راس القربة محلة ببغداد » ثم قال عند كلامه عن السيد احمد الرفاعي : « قدم ابوه سنة تسع عشرة وخمسمائة (١٢٢٥) من واسط الى بغداد . . . فصار ضيفا ببيت الأمير مالك ابن المسيب . . . وبعد اسبوع توفي ببغداد وعمل عليه ابن المسيب مشهدا برأس القربة محلة بظاهر بغداد من جانبها الشرقي . . . ويلقبه العامة بالسيد السلطان علي . . . » اه والذي اظنه ان في النسخة التي طبع عليها الكتاب غلطا في قوله عن موضع رأس القربة : بظاهر بغداد » ولعل ذلك « بوسط بغداد » . وفي كشف خلفا (المطبوع ص ١٠٥) ان والي بغداد ابراهيم باشا عمر هذا الجامع في سنة ١٠٩٣ (١٦٨٢) وعين خطيبه وخدامه . ويزيد مخطوطي (دون المطبوع) على ذلك قوله : وابتدىء بقراءة الخطبة فيه . (الكاتب)

(لغة العرب) الذي عندنا ان قوله بظاهر بغداد من خطا الطبع ولا شك في ان المؤلف قال وبظاهر بغداده اي في وسطها .

(٢) وهي تبتدئ عند شريعة المصبغة او عند جنوبيها فما تحت .

محلة الغربية في حريم دار الخلافة بل بدار الخلافة نفسها على ما رأيناه في ياقوت جاء ذلك مؤيدا ان حريم دار الخلافة وضمنه دور الخلافة كانت جبهته ممتدة بين شريعة المصبغة وشريعة المربعة او نحوها ولا تتجاوز ذلك .

قصور الخطيريين ليست بموضع قصور الخليفة

يؤخذ من كلام ياقوت وكلام ابي الفداء اللذين نقلتهما في « حريم دار الخلافة » ان مبدأ هذا الحريم من جهة الغرب (الشمال الغربي) باب الغربة وهو الآن شريعة المصبغة ولا جدال في ذلك . واذ كان الحريم بمقدار ثلث بغداد وفي وسطها ولا سيما دور العامة محيطة بالحريم فلا يتصل الحريم بسور المدينة في آخرها . وان قيل عن الاحاطة ان ياقوت قالها من باب التوسع وليس بكل معنى الكلمة وحصره قلت ذلك جائز ولكن لا يمكن ان يكون اتصال الحريم بسور المدينة عند آخرها لقوله ان الحريم في وسط بغداد الخ . واذ كانت قصور « الخطيريين » في منتهى المدينة على ما بسطته قبيل هذا في الحاشية فقصور الخليفة — ودور الخلافة كما سماها ياقوت — لم تكن في موضع قصور « الخطيريين » .

أبستان الزبيوز هي دار ابن الجوزي ؟

لا يبعد ان يكون ذلك وكنت قد قلته . اما عبادة فقد رأى ان يبت ويجزم بالامر بعد ايراده نص ابن جبير عن ابواب بغداد وعن دار ابن الجوزي ومجلسه وبعد كلامه عن القبر الذي في بستان اكريبوز . قال عبادة : « فلم يبق شك في ان الحديقة [حديقة أكريبوز] هي دار عبدالرحمن المشار اليه [ابن الجوزي] » اه فالظن بما كنت قد قلته وقاله قوي لكنه لا يصل الى درجة الحكم القاطع مع وجود دليلين آخرين لم يذكرهما . وهما : اولا كلام ياقوت وفيه ان « حريم دار الخلافة يكون بمقدار ثلث بغداد وهو في وسطها الخ وثانيا وجود شريعة المربعة على بعد نحو مئة متر فقط فوق بستان اكريبوز . واذا لاحظنا موقع هذا البستان وجدناه في مبدأ نحو الثلث الاخير (١) من بغداد وهو يوافق وصف ياقوت فيكون موقع هذا البستان على اتصال من دور الخلافة الواقع في وسط

(١) هو الثلث الجنوبي .

بغداد . وسبب تعرضنا لذكر شريعة المربعة فضلا عن وجود القبر الذي سيء بستان اكريبوز هو لقول ياقوت ايضا ان الدار المربعة هي بدار الخلافة فيمكن ان تكون هذه الدار آخر دور الخلافة وان دار ابن الجوزي كانت باتصال منها فالقول ان بستان اكريبوز كان دار ابن الجوزي حري بان يؤخذ بنظر الاعتبار ولكن — على ما اظن — يجب ألا يتجاوز ذلك حتى يقوم برهان ليؤيده .

ومما ذكره عبادة حديقة نسبها الى عبد الجبار غلام وكانت صفته فيها صفة مستأجر . والاحرى في مثل هذه المواضيع ان يذكر المالك بلا سم مالكه لان المالك — على الغالب — يكون قابضا على زمام المالك مدة اطول من مسدة الايجار ولا سيما اذا كان الملك وقفا فان اسمه يمر دهرا . وارجاع نسبة الملك الى مالكه يفيد الخلف على تعيين المواضع . هذا وان اشتهرت هذه الحديقة في عهدنا وقتا بعبد الجبار غلام اما الآن فلا احد يعرفها بهذا الاسم . والذي اعرفه عنها انها وقف الكيلانيين او النقباء منهم . وهي اليوم عرصة خالية وجبهتها على الشارع العام طولها على الشارع الممتد الى الشيخ عبد القادر الكيلاني فآخر المدينة من جهة الشمال الشرقي . وقد شرع الآن بعمارتها .

وقال عبادة : « وهي [اي دار ابن الجوزي التي قال انها حديقة اكريبوز] حتى اليوم واقعة على دجلة على الشط يفصل بينهما قصر النقيب الآنف ذكره » اه ولا ادري ضمير « بينهما » إلام يعود ولا اسمين في الجملة اما ما جعله فاصلا فلا يبين لي . والذي نعرفه ان لا فاصل بين قصر النقيب وحديقة اكريبوز وهما متصلان احدهما بالاخر .

والآن الخص كلامي بما يأتي :

١ — ليس بايدينا مستند يرجح ان القبر الذي في بستان اكريبوز هو لمحيي الدين يوسف بن الجوزي .

٢ — من المحتمل كل الاحتمال ان يكون بستان اكريبوز دار ابن الجوزي دون البت في ذلك .

٣ — ليست قصور « الخطيريين » في موقع قصور الخليفة .

٤ — كانت قصور الخليفة كما سماها ابن جبير — وكما سماها ياقوت دور الخلافة — بين شريعة المربعة او نحوها إن فوقها وان تحتها وبين شريعة المصبغة .

هذا ما عن لي بيانه عن الماضي وتدوينه الى المستقبل .

(تصويبات) صحح في هذه المجلة (٥ : ٥٥٤) ما في السطر المتقدم على الاخير قولي « فالشرقي هو المقر العام » بقولك « فالغربي ... » ثم بعده قولي « والغربي هو دائرة البرق » بقولك « والشرقي ... » وقولي في ص ٥٥٧ سطر ١١ : « من جهة الجنوب خان الاورتمه » بقولك « من جهة الشمال ... » .

بغداد يعقوب نعوم سركيس

معجم المرزباني

Le Dictionnaire Biographique des Poètes.

بيدي نسخة من هذا الكتاب البديع النفيس وقد تكلمت عن هذه النسخة في مجلة لغة العرب ٧ : ٢١٧ وبعد مطالعتي اياه وجدت فيه فوائد تاريخية جزيلة لا تقدر . ولما رأيت ما فيه من المنزلة الرفيعة في ايراد الاخبار التي وقعت في عصر المؤلف اسرعت في نسخه ومما يؤسف عليه ان النسخة التي بيدي غير تامة اذ ينقص منها عدة اوراق . وضبط الاعلام الواردة فيه من اشق الامور غير ان الناسخ وهو مغلطاي الشهير كان من العلماء الذين يفوقون حضنة العلم الذين في عصره . ولو كان ناسخه غير هذا الثبت لجاءت النسخة من اسقم النسخ . وفي نظري ان هذا التأليف اهم من تأليف كتاب المعاني لابن قتيبة .

بكنهام (انكلترة) ف . كرنكو

(لغة العرب) نود ان نعلم هذا الامر وهو : أترى نسخة تامة من معجم المرزباني عند بعض القراء او يمكن ان يذكر لنا صاحبها تاريخ نسخها واسم ناسخها وللاديب الفضل على ابناء العربية جميعهم .

معجم الشعراء المذكور ومختصره

علمت ان لدى العلامة المستشرق الالماني فريتس كرنكو نسخة مخطوطة من